بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

منذ إندلاع الثورة السورية , لايزال أغلب المتابعين يتبنون فكرة ، ثم لايلبثون أن يتراجعوا عنها لفكرة وتصور مختلف مناقض للاول ، وهم لهم في هذا عذر ، فتسارع الأحداث العجيب على الساحة السورية ، والمتعلقات الصعاب بهذه الثورة ، يجعل المتابع يحتار في توقع الأقرب للحدوث مستقبلا ، فلما كنا نرى أن دولا باكملها عجزت مرات كثيرة في إستصدار قرار يدين أعمال النظام السوري بحق العزل ، كان من الطبيعي أن يقف المرء حائرا أمام الكثير من التوقعات والسيناريوهات المطروحة لحل الأزمة السورية ، فهل سيسقط النظام ؟ ام هو حل وطني ؟ ام إنفلات أمني لن يلتئم عقده إلا بعد سنوات طوال ؟

الصراع وإن بدا علانية انه بين معارضة ثائرة وسلطة متمسكة بحكمها ، إلا انه في حقيقة الأمر , صراع خفي شرس ، بين اطراف عدة ، ، يعلم كل واحد منهم بوجود عدوه ، والمشكلة الكبرى عند المتابعين للشأن السوري ، ان شح المعلومات من الأرض ، وإقتصار بناء التصور على مايصل من الإعلام ، يجعل الصورة ناقصة وتحتاج لترميم كبير في احسن أحوالها.

أطراف كثيرة تتجاذب السلطة والسيطرة على الساحة السورية ، ويحاول كل طرف الإستحواذ على الدعم الشعبي , والحاضنة المغذية لبقائه ، منها اطراف ظهرت علانية ، ومنها مايزال يعد نفسه ، ومنهم من يرتقب الفرصة للظهور ، فماهي أهم هذه الاطراف ؟

1 - السلطة الحاكمة في البلد

2-المعارضة المدنية الثائرة

3-الجيش السوري الحر

4-الجماعات ذات الفكر الجهادي

5 - مشروع المقاومة السنية "المقلم" تحت الإشراف

6-قوى قد تظهر لاحقا

اولا :السلطة الحاكمة في سوريا :متمثلة برأس النظام بشار الأسد ، وأعوانه من أقرباءه كماهر الأسد القائد الفعلي للفرقة الرابعة ، ورؤوساء الفروع الأمنية الحساسة في دمشق , ومن يقف خلفهم في صنع القرار من أعيان الطائفة النصيرية ، والإسماعيلية والمرشدية ، وهذا من الداخل السوري ، أما من الخارج فيساعده في صنع القرار حزب الله بما يحمله من فهم ونفوذ في الساحة اللبنانية ، وجنرالات إيران ومستشاريهم ، إضافة إلى دخول رافضة العراق وحكومة المالكي بشكل فاعل على الساحة السورية.
يمتلك النظام أدوات قوة وتسليح ممتاز ، فتعداد الجيش السوري يقارب الستمئة ألف جندي ، فيهم نسبة كبيرة من المناطق السنية ، بما فيهم العرب والاكراد , لكن يبقى هذا العدد مثار جدل ,من ناحية فائدته للنظام نفسه ، فغلبة العنصر المحسوب على السنة فيه , يجعله مصدر قلق للنظام ، وهذا ماحدث فعلا فور إندلاع

الثورة ، حيث توالت الإنشقاقات فيه ، وساعد الكثير في تسريب معلومات هامة عنه وعن تحركاته , وصلت إلى حد إخطار مدينة دير الزور بقرب إقلاع طائرات حربية وتسيير قوافل عسكرية بإتجاهها!.
لكن ورغم هذا ، فلا أظن أن النظام تغيب عنه خطورة الإعتماد التام على الجيش بتركيبته الحالية ، فهو بكل الأحوال يعتني بالفرقة الرابعة ويبنيها من فترة طويلة ، وينفق عليها بسخاء.
فلن تكون مشكلة النظام هي عدد المقاتلين المخلصين ، فالفرقة الرابعة على سبيل المثال ، تضاعف عددها بعد أشهر من إندلاع الثورة من عشرة الاف إلى قرابة المئة ألف كلهم من الطائفة النصيرية ، إضافة إلى إستحداث تشكيلات أخرى جديدة، وإجراءات قام بها النظام ويقوم بها حاليا سآتي على ذكرها إن شاء الله.

يمتلك النظام أجهزة أمنية كما أسلفنا يسيطر على اغلبها ضباط من عائلة الأسد نفسها ، وفي حقيقة الأمر أن هذه الأجهزة هي من تسيطر على الجيش وعلى تحركاته لاوزارة الدفاع , وبالتحديد القسم المسمى بـ " المخابرات الجوية , " فهذا الجهاز هو من يسير حركة الجيش ، ويعطي الأوامر لضرب المنقطة الفلانية ، أو الإنتشار في المكان الفلاني ، فهو بمثابة غرفة العلميات المشرفة على إدارة الأزمة , إضافة إلى سلطتها المباشرة على بقية الأقسام الأمنية (الأمن السياسي - أمن الدولة - الأمن العسكري. (

ولم يحرك النظام إلى الان الكثير من قطعه العسكرية الضخمة لإعتبارات كثيرة سنمر علي ذكرها لاحقا , فهو أعتمد بنسبة كبيرة إلى حد ما إلى حين كتابة هذه المقالة على الفرقة الرابعة وعناصر خارجية (جيش المهدي - حزب الله اللبناني(

ثانيا :المعارضة المدنية الثائرة

بما تضمه من مكونات مختلفة مذهبية وقومية وفكرية ، تتلون بشكل كبير وتشترك في مساحات رمادية أحيانامن ناحية التصور والهدف.
ففيها العرب والأكراد والشراكس والتركمان ، والعرب ذاتهم فيهم السني والنصيري والمرشدي والإسماعيلي والدرزي والنصراني ، وفي العرب كذلك الإسلامي والعلماني والإشتراكي ، وفي العرب الإسلاميين ثمة الإخواني والسلفي التقليدي والصوفي والجهادي ، وفي داخل القومية الكردية تقسيم مشابه مع غلبة العنصر العلماني التحرري ، مع أصوات متناثرة تدعوا لكردستان مشابهة لما عليه الحال في العراق.

وفي هذه المعارضة المدنية - وأقصد التي لم تحمل السلاح بعد - من يتمسك بالسلمية ، ومنهم من لايطيق سماع هذه الكلمة ويدعو لتسليح الثورة ، وفيهم من يطالب بتدخل الناتو وفيهم من لايريد ان يحدث هذا.

تصل أصوات هذه المعارضة من خلال عدة منابر إعلامية ، بدأت من خلال صفحات الفيسبوك ،ثم تطورت على شكل شبكات إخبارية تنقل من الارض ، ثم أعقبها تشكيل التنسيقيات التي تطورت الى الهيئة العامة للثورة السورية ، إضافة إلى تشكيل مجالس ثورة في مختلف المحافظات.

يرأس هذه المعارضة بكل أطيافها -تقريبا - المجلس الوطني الإنتقالي ، رغم الخلافات الواضحة بين الأطراف المشكلة له والتي ظهرت في بداية تشكيله , ورغم هذا ، فقد بدأ التململ يظهر من الثوار على الارض تجاه هذا المجلس بسبب إهماله وتحركه الذي يكاد يكون معدوما في مواقف كثيرة.

يظهر للملأ عادة من وقائع الثورة مايريده إعلام الثورة بالتحديد ، فيقف في توجيهه الإخوان المسلمون بشكل خفي ، ويرفعون لوكالات الأنباء ماتقتضيه المرحلة ، ففي الأشهر الأولى من الثورة ، كان كل من يدعو لحمل السلاح مثلا يرمى بالعمالة والخيانة لدماء الشهداء ، وعقب حدوث الإنشقاقات ، بدأت الدعوات تعلوا لحصر السلاح في الجيش الحر ولا أحد آخر سواه ، ثم إظهار الدعوات المطالبة بالمنطقة العازلة لاحقا ، ثم التدخل الدولي ، وغالبا ماتكون هناك موجة مفتعلة , تكون بامر من إعلام الثورة المسير ، ولايلبث البسطاء إلا أن ينجروا وراء الدعوة ، زعما أن هذا رأي الثوار على الأرض , حتى ذهبوا إلى القول في إحدى المرات : أن هناك إجماعا من الثوار على إستقدام الناتو!.

في الوقت الذي نجده يهمل أحداث كبيرة على الأرض تتعلق بمئات المسلحين في محافظة إدلب ، وقيام أهالي جبل الزاوية بهجمات ليلية على النقاط الأمنية والحواجز ، واغتنام كل مافيها من قطع سلاح وعتاد حتى هم

بعض الإخوة باخذ دبابة لولا تدخل الشباب معه لإقناعه بعدم فائدتها في مشهد فكاهي.
تعمد إعلام الثورة كذلك التستر عن ذكر الدعوات الكثيرة المطالبة بحمل السلاح ، او إيراد العلميات المسلحة الكثيرة التي بدأت تشن على قوات النظام في مناطق إدلب وحمص وحماه , والإحجام عن ذكر سبب إنتشار القوات الخاصة بإعداد كبيرة في ريف دمشق وتنفيذها لعملية عسكرية ضخمة في إحدى المرات ,وعدم نشر قضية قتل الجرحى من قبل ممرضات نصيريات في أحد مشافي حماه ، كذلك الحرب الشرسة التي دارت بين النصيرية والسنة في مناطق حمص!.

ولا أنسى أن أشير أن المجلس الوطني ولد شبه ميت ، فنظرة الشك والريبة هي السائدة لدى كثير من الناس تجاهه ومايمكن أن يقدمه ، وهذه النظرة المتولدة لدى الناس على الأرض سببها الخذلان الذي رؤوه خلال أشهر طويلة ، ووعود كاذبة ، ثم مواجهة الرصاص والقتل منفردين بعد كل هذا.

ثالثا :الجيش السوري الحر

وبدأت القصة من إنشقاق المقدم حسين هرموش من الجيش النظامي ، وإعلانه تشكيل "لواء الضباط الأحرار " في خطوة مفاجئة صدمت أنصار النظام والمتابعين , ثم مالبثت أن
توالت الإنشقاقات تباعا من أبناء المناطق المنكوبة وقتها في الرستن وإدلب ,لتصل إلى إنشقاق العقيد رياض الأسعد الذي اعلن بداية إنضمامه إلى لواء الضباط الأحرار ، ثم خرج بعد أيام ليعلن عن تشكيل "الجيش السوري الحر " في حركة غريبة أثارت فضول الكثير عن سبب إعلانه هذا ، في الوقت الذي بدا فيه للجميع أن عقد لواء الضباط الأحرار وقتها كان ملتئما ولا حاجة لتشكيل آخر تتفرق فيه الجهود , والظاهر ان الأسعد قد راى بعض الإختراقات والثغرات في لواء الضباط الأحرار ,أو سلوك أمنيا غير منضبط ، والذي تكشف بالفعل لاحقا بعد إعتقال قائد لواء الضباط الأحرار حسين هرموش في عملية نوعية لمخابرات النظام!.
عقب هذا إنضم كل من كان في لواء الضباط الأحرار إلى الجيش السوري الحر , الذي بدا حتى في خطابه مميزا عن نظرة لواء الضباط الأحرار للساحة ، فالأول صرح في بيان تأسيسه أن " كل مايمت للنظام من مصالح أمنية أو عسكرية أو مدنية هي هدف مشروع له ، في الوقت الذي لم نرى فيه مثل هذا الشيء في لواء الضباط الأحرار ، إضافة إلى السلوك الأمني المذهل الذي أنتهجه الجيش الحر في بداية تأسيسه الأمر الذي ساعد على ثباته وصموده وحسن إستيعابه لمن أنشق لاحقا.

بعد الإعلان عن الجيش الحر ولفترة طويلة نسبيا ، خرج رياض الأسعد ليعلن أنه يتحدث من تركيا ، وانه يدير العمليات من هناك ، خصوصا بعد إتساع عمليات الجيش الحر على الأرض , وتقسيم الكتائب التابعة له بشكل مماثل لما عليه الحال في المدرسة العراقية في القتال ، حيث الكتائب موزعة في مساحات شاسعة , لاتظهر إلا لتضرب وتختفي ، ولا لقاءات شخصية بينها طالما ان الهدف محدد والعمل معروف.

وفي الوقت الذي كان فيه الجيش الحر مستقلا ، كردة فعل على مجازر النظام , ظهرت سيطرة المجلس الوطني عليه بشكل واضح ، وسيطرة تركيا على قراره ، فمن خلال فهمه لطبيعة النظام ومفاصل القوة فيه ، عمد بعض عناصر الجيش الحر إلى مهاجمة فرع المخابرات الجوية في منطقة حرستا ، مادفع الكثير لإستنكار هذا وقتها ، وبتنا نرى أصوات تصور الجيش الحر على أن مهمته فقط الدفاع عن المتظاهرين لا المبادرة بالهجوم ، ويمكن تتبع هذا الأمر بسهولة من خلال تصريحات المتحدين بإسمه كما في أحد لقاءات الرائد "ماهر رحمون النعيمي "الذي أوضح مرارا أن الجيش الحر لايبادر بالهجوم مالم يكن هناك أيذاء وإعتداء على المتظاهرين !.

الجيش الحر له كتائب موزعة في اغلب مناطق سوريا ، وتتوالى الإنشقاقات يوما فيوم ، لكن يبقى الغموض حول بعض الكتائب في المناطق الشرقية التي لم تنسب نفسها يوما للجيش الحر ، بل تكتفي ببيانات حول عملياتها ، مع أن غالب الكتائب في المنطقة الوسطى والشمالية والجنوبية تنسب نفسها صراحة للجيش الحر كإحدى تشكيلاته وفروعه.

ويحاول الجيش الحر مؤخرا فرض نفسه كممثل عسكري وحيد للشعب السوري ، وأنه السلطة الأعلى

عسكريا في البلاد ، وإن حمل السلاح لابد ان يكون من خلاله , إضافة إلى تشكيله محاكم عسكرية ميدانية للبت في قضايا الأسرى من الشبيحة والجيش والأمن.

رغم هذا ، لم تزل طبيعة العمليات التابعة للجيش الحر محصورة في صورة حرب العصابات ،تكون بين الفترة والأخرى ، وليست الحرب " وجها لوجه " كما يتصور البعض ، بناء على المواجهات التي حصلت في إدلب وحمص وحماه ، فمن حمل السلاح وقتها ولايزال هم أفراد لاعلاقة لهم بالجبش الحر تنظيميا وإن كان هناك بعض ممن ينتمي للجيش الحر قد شارك في صد كتائب النظام في تلك العمليات .

رابعا :الجماعات ذات الفكر الجهادي

وقد يبدو الحديث عن هذه الجماعات للوهلة الأولى غريبا في هذه المرحلة ، لكن الحقيقة غير هذا تماما , فبوادر العمل الجهادي وحَمَلَةُ المنهج بدأت تظهر على الأرض ، إما على شكل أعمال فردية ، ومحاولات صغيرة ، أو على مستوى إعلان وظهور ، ولاننسى أنه بالأصل هناك إعلان مسبق من كتائب عبد الله عزام ونطاق عملها في ساحة الشام وبياناتها المتكررة عن الثورة السورية وإن كان عملها مقتصرا إلى الان على قصف يهود من جنوب لبنان ، إضافة إلى إعلان تأسيس جيش الصحابة في بلاد الشام والذي نشر مؤخرا بيانه الاول وتداولته المواقع و ألسن الناس على الأرض ، مع تجمعات ذات فكر جهادي ظهرت بعد اشهر من الثورة في منطقة أدلب وحماه وحمص ودير الزور والبوكمال تنفذ عمليات على الأرض ولاتصدر أي شيء بإسمها ، بل ربما يستغرب البعض أن قيل لهم أن صد قوات الأسد في الهجمة الاخيرة على حماه تمت من قبل إخوة موحدين يعرفون حقيقة الصراع وحجمه، ولن أتحدث الان عن جهود واعمال هذه الجماعات ، وإنما ذكري لهم كطرف مستقل هنا له مابعد، و محاولة مني للتخمين حول فرص هذه الجماعات في الظهور وإكتساب الحاضنة الشعبية ، ومايحاك لقطع الطريق عليها منذ الان .! وذلك في سيناريوهات محتملة سترد لاحقا إن شاء الله.

خامسا :مشروع المقاومة السنية " المقلم " تحت الإشراف

وليست التسمية بدعا من القول , فقد حدث هذا الأمر فعلا في السابق في العراق ,ثم مؤخرا في ليبيا ، وحتى اكون واضحا في مقصدي ، فمنطقة أدلب حاليا بين أخذ ورد ، يحاول كل من النظام من جهة والمسلحين من جهة أخرى ان يحكموا السيطرة عليها ، ماجعل المنطقة شبيهة بالمثلث السني في العراق إلى درجة كبيرة ، ففي هذه المنطقة المؤهلة لإنبات المشاريع فيها ، بدأت تحركات غريبة من أطراف ليبية شاركت في عملية إقتحام طرابلس ، فقد دُهشنا من تجول " المهدي الحاراتي " في منطقة أدلب ومحاولته الإجتماع بالجماعات المسلحة , والتمهيد لإنشاء مشروع مقاومة ، ثم عودته لتركيا وإجتماعه مع قائد الجيش الحر ثم إلى تونس فليبيا ,ثم عودته سوريا مرة أخرى ثم إلى أدلب ، يرافقه رجل سوري شارك سابقا في بعض معارك إفغانستان.
الغريب في الموضوع ان تجركات هؤلاء أتت موازية لتحركات جماعات جهادية حاولت تأسيس نفسها في تلك المنطقة ,براية واضحة نقية ، قابلها مشروع الحاراتي المبتعث .! الذي لم يفكر ولو مجرد تفكير بالتفاوض او التحدث مع الجماعات التي تحمل الفكر الجهادي و الموجودة على الأرض والتي كانت ظاهرة ويمكن الوصول إليها بسهولة.
ولست هنا احاول التدخل في النوايا ، فقد حدث هذا الأمر سابقا في العراق كما اسلفت ، عندما أشرفت دول على إقامة مشروع " المقاومة الشريفة " لتقابل "المشروع التكفيري المتشدد , " طالما ان السلاح هو حل واقعي إضطراري ، وأن هناك خطابا طائفيا سائدا ,فمن الطبيعي ان يواجهه خطاب طائفي آخر مضاد , سيما وأن هذا الدعوة ستلقى - بلاشك - تأييدا شعبيا كبيرا ، إذا ماجُعل الأمر برمته حربا بين سنة ورافضة!.
فمحاولة سحب البساط من تحت أقدام أي عامل للمشروع الجهادي هو أمر يجب أن لايشك به أحد ، خصوصا أنهم يعلمون أن الجماعات الجهادية في العراق ، وفي سوريا ولبنان لن تقف متفرجة والشام تسقط من يد طاغية ليد عميل.
فإنما سميته "مقلما " حتى لايكون مشحونا بدعوة تطبيق الشريعة ونبذ ماسواها , وعدم الإلفتات بنظرة سوء لولي الأمر في دويلات الخليج ، ومقابلة من يقدم الإعانة بإبتسامة لطيفة ولو كان حلف الناتو الصديق بذاته.

وقلت " تحت الإشراف " حتى لايكون صنع القرار بيد أمراء هذا المشروع ، دون رقابة شرعية وموافقة سلطانية ، وتأييد إعلامي ، وتحجيم فلان وتكبير الآخر , حسب ماتقتضي الضرورة ، وفي حال تمرد أحدهم على مايُرسم له.

سادسا :قوى قد تظهر لاحقا

والأمر برمته معتمد على ماستؤول إليه الأحداث ، فظهور بعض هذه القوى قد يرتبط بألاعيب النظام ، وبعضها بالظروف الأمنية ، وبعضهاالآخر قد ينتهز الفرصة ليفرض نفسه كند وطرف فاعل في الساحة ، وأهم هذه القوى في نظري والتي قد تكون مؤهلة للظهور:

أ- تشكيلات شبيهة بالصحوات : وقد تكون آنية في المراحل الأولى وتختفي فورا بسبب ضعف حاضنتها وإرتباطها بنفوذ النظام وقوته.

ج - تشكيلات مسلحة لفرض الأمن : وهذه القوة تكون منتعشة أكثر لإن الهدف من قتالها وحملها للسلاح بالأساس هو الخوف من التهدور الأمني في مناطقها ، وهو أمر نلاحظه جيدا لدى الناس , فقسم كبير رغم فرحته لما يحدث ، إلا أنه لايخفي قلقه من تدهور الأمن وفقدانه ، والذي يمكن أن يترجم مستقبلا لتشكيلات مسلحة تحمي المناطق التي تتواجد فيها.

د - ظهور الأكراد كقوة : وهم إن كانوا في الوقت الحالي يظهرون ككيان موحد , إلا أنه لم يعمد إلى السلاح "كظاهرة " ، ولعل هذا الامر له مايبرره في الوقت الحالي ، لكن إن تطورت الأمور كثيرا لتصبح الساحة منهارة وغير مضبوطة أمنيا والكلمة فيها لصاحب السلاح ، فلن يقف الأكراد متفرجين وسيبادرون لتشكيل تجمعات مسلحة قد تحمل إسم لجان إجتماعية لحفظ الأمن ، ومسألة الدعم لهؤلاء أمر سهل لن يجدوا فيه مشكلة ، وقد تكون فرصة لهم للتخلص من عناصر حزب العمال الكردستاني " b.k.k" الذي تكفل بقمع المتظاهرين في المناطق الكردية لصالح نظام الأسد.

وفي الجزء الثاني من هذه المقالة سأعرض مجموعة من سيناريوهات حرب محتملة , بناء على ماقدمت ,قد تكون الأقرب والأكثر ملائمة لواقع الساحة السورية , مع تفاصيل أكثر بحول الله

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه : قاعدي موقوت

الأربعاء ٣ صفر ١٤٣٣ هجري